المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

تَعظِيمُ اللهِ تَعَالى
فِي هِدايَات القرْآن الكَريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

تعظيم الله عز وجل في قصة أصحاب الأخدود

اسم الباحث

د / عبدالرحمن بن سند بن راشد الرحيلي

د. عبد الرّحمن بن سند بن راشد الرّحيلي

تعظيم الله عزَّ وجلَّ

في قصة أصحاب الأخدود

ملخص البحث

تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- في قصة أصحاب الأخدود

أ- القضية المحورية في البحث:

جمع واستنباط الهدايات القرآنية في تعظيم الله تعالىٰ من قصة أصحاب الأخدود.

ب- الهدف/ الأهداف المراد بلوغها:

إبراز مظاهر تعظيم الله تعالىٰ من خلال قصة أصحاب الأخدود.

ج- المنهجية العلمية المقترح اتباعها: سأسلك في هذا البحث المنهج التحليلي؛ وذلك بتدبر وتأمل الآيات القرآنية في قصة أصحاب الأخدود المذكورة في سورة البروج وبيان هداياتها المتعلقة بتعظيم الله تعالىٰ، إلىٰ جانب الأمانة العلمية والمنهجية المتبعة في البحوث والدراسات؛ من عزو الآيات، وتخريج الأحاديث والحكم عليها، ونسبة كل قول إلىٰ قائله، وتوثيق ذلك من المصادر الأصلية، وسأُقسِّم البحث إلىٰ مقدمة وتمهيد، ومبحثين، في كل مبحث عدة مطالب، المبحث الأول: بين يدي سورة البروج، والمبحث الثاني: مظاهر تعظيم الله تعالىٰ في قصة أصحاب الأخدود.

د- الإضافة/ الأهمية العلمية والعملية المتوخاة من البحث في مجال الهدايات القرآنية:

١- معرفة الطريقة العلمية الصحيحة في استنباط الهدايات القرآنية من القصص القرآني الكريم.

٢- ترسيخ عقيدة التوحيد الصحيحة بتعظيم الله تعالىٰ وخشيته والخوف من الإشراك به من خلال قصة أصحاب الأخدود.

٣- تربية المسلم علىٰ تعظيم الله تعالىٰ وإجلاله والحذر من معصيته من خلال قصة أصحاب الأخدود.

المقدمة

الحمد لله الذي أحاط بكل شيء علمًا، ووسع كل شيء عزة وحكمًا، ونوَّر بصائر عباده وألان قلوبهم بما اشتمل عليه كتابه الكريم وسنة رسوله ﷺ الأمين من أنوار الوحي المبين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الخلق أجمعين، وعلىٰ آله وصحبه، ومن اهتدىٰ بهديه إلىٰ يوم الدين،،

وبعد؛ فقد أنزل الله تعالىٰ القرآن الكريم للتدبر والتذكر، قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾[ص] حتىٰ نفهم ثم نعمل ما أراده الله تعالىٰ منَّا، وقد قصَّ الله تعالىٰ في القرآن العظيم قصصًا للأمم السالفة، ووصفها بأنها أحسن القصص، قال تعالىٰ: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣﴾[يوسف]. وأخبرنا -جلَّ وعلا- بأن هذه القصص من أجل التفكر، بل أمرنا أن نقصها علىٰ الناس لعلهم يتفكرون، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِۖ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾[الأعراف]. كما أخبرنا العليم الخبير بأنه يقص القصص للتثبيت، والمواساة، والصبر علىٰ المجاهدة.

وفي قصص السابقين الغابرين عبرة لأولي الألباب، الذين يتدبرون تلك القصص، ويستنبطون ما فيها من عبر وعظات، ودروس وهدايات. وقد أمرنا سبحانه بالاقتداء بالصالحين والمصلحين من السابقين، الذين قصَّ علينا قصصهم، وأخبرنا بطريقتهم في الدعوة والإصلاح والوعظ والإرشاد، والصبر والثبات.

ومن قصص القرآن التي قصَّها الله تعالىٰ علينا، وأوضح لنا فيها كيف تفوز القلَّة المؤمنة بإيمانها علىٰ مُتَعِ الحياة وملذاتها التي تعلَّق بها أكثر الناس، بل وتختار النار علىٰ الكفر بالله العظيم، وتعظِّم هذه الطائفة المؤمنة الله تعالىٰ حق التعظيم، وتخشىٰ يوم لقائه سبحانه وتعالىٰ، وتروي لنا كيف استطاع غلام صغير لا يملك لنفسه حولًا ولا قوة أن يبث ويحيي الإيمان في قلوب أمة بأكملها، وأن يزلزل عرش ملك جبَّار، يدعي الألوهية= قصة أصحاب الأخدود، التي ذكرها الله -جلَّ وعلا- في (سورة البروج).

وقد كان ذلك باعثًا لي علىٰ كتابة هذا البحث الذي جمعت واستنبطت فيه الهدايات القرآنية في تعظيم الله تعالىٰ من هذه القصة، واجتهدت في صياغتها وتحريرها، وتحريت الجودة في التصنيف والتنظيم، وجعلته بعنوان (تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- في قصة أصحاب الأخدود).

خطة البحث:

ينقسم البحث إلىٰ مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس، كالتالي:

المقدمة، وتشتمل علىٰ: خطة البحث، ومنهج كتابتي في البحث.

التمهيد، ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف القصص القرآني لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: أهمية القصص القرآني.

المطلب الثالث: مظاهر العظمة في قصص القرآن.

المبحث الأول: بين يدي سورة البروج. وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول: اسم السورة، عدد آياتها، مكان نزولها، فضلها، وفيه أربعة مسائل.

المطلب الثاني: المناسبات، محور السورة، وفيه ثلاثة مسائل.

المطلب الثالث: مقاصد السورة.

المطلب الرابع: موضوعات السورة.

المبحث الثاني: مظاهر تعظيم الله تعالىٰ في قصة أصحاب الأخدود، وفيه سبعة مطالب.

المطلب الأول: الهدايات في قوله تعالىٰ: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾﴾.

المطلب الثاني: الهدايات في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾﴾.

المطلب الثالث: الهدايات في قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾﴾.

المطلب الرابع: الهدايات في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾.

المطلب الخامس: الهدايات في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾.

المطلب السادس: الهدايات في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ١٠﴾.

المطلب السابع: الهدايات في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ١١﴾.

الخاتمة: وتتضمن:

أهم نتائج البحث.

التوصيات التي يوصي بها الباحث.

الفهارس: وتشتمل علىٰ:

فهرس المراجع.

فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج التحليلي، وفق المحاور التالية:

١- تدبر وتأمل الآيات القرآنية في قصة أصحاب الأخدود المذكورة في سورة البروج وبيان هداياتها المتعلقة بتعظيم الله تعالىٰ.

٢- توثيق الآيات القرآنية الكريمة الواردة في البحث بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن.

٣- تخريج الأحاديث الواردة في البحث إلىٰ مصادرها الأصلية، فإن كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليهما أو إلىٰ أحدهما، وإن لم يكن كذلك عزوته إلىٰ مصادره التي أخرجته مع بيان درجته.

٤- توثيق أقوال العلماء وجميع المعلومات العلمية المذكورة في البحث من مصادرها الأصلية بذكر رقم الجزء والصفحة.

٥- ذكر أهم نتائج البحث التي توصلتُ إليها، والتوصيات الموصَىٰ بها.

٦- إعداد فهرس علمي لمراجع البحث، وموضوعاته.

وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمَّد، وعلىٰ آله وصحبه ومن سار علىٰ نهجه إلىٰ يوم الدِّين.

التمهيد

ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف القصص القرآني لغة واصطلاحًا

أولًا: لغة: أصل مادة (قصص) مشتق من قَصَّ أثرَه، أي: تتبَّعه، ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾ [الكهف: ٦٤].

والقِصَّة: واحدة القَصص: الأمر والحديث. يقال اقْتَصَصْتُ الحديث: رويته علىٰ وجهه. والاسمُ القَصَصُ بالفتح، وُضِعَ موضع المصدر حتَّىٰ صار أغلبَ عليه. والقِصَصُ، بكسر القاف: جمع القصة التي تكتب[1].

ثانيًا: اصطلاحًا:

عُرّف القصص القرآني في الاصطلاح بعدة تعريفات منها:

أولًا: أنباء وأحداث تاريخية لم يلتبس بشيء من الخيال، ولم يدخل عليه شيء غير الواقع، ومع هذا فقد اشتمل علىٰ ما لم يشتمل عليه غيره من قصص، من الإثارة والتشويق مع قيامها علىٰ الحقائق المطلقة، الأمر الذي لا يصلح عليه القصص الأدبي بحال أبدًا[2].

ثانيًا: إخبار القرآن عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة[3].

وبإمكاننا أن نعرِّفه بقولنا: وصفُ الله تعالىٰ لأحوال السابقين، بأسلوب معجز، مشتمل علىٰ العبرة والعظة.

المطلب الثاني: أهمية القصص القرآني

القصص القرآني منهج رباني كريم، وقد قصَّ الله -عزَّ وجلَّ- في كتابه الكريم أحوال الأمم الماضية، وهو واقع عاشه أصحابه كما قصَّه الله تعالىٰ ووصفه في القرآن العظيم، وجاء هذا

---

(١) الصحاح (٣/ ١٠٥١)، لسان العرب (٧/ ٧٥).

(٢) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه (٤٩).

(٣) بحوث منهجية في علوم القرآن (١٨٤).

القصص؛ للتدبر والتفكر كما قال سبحانه: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف]، وللاعتبار في مصير الأمم الغابرة، وما أصابها من نصر وتمكين؛ لإيمانها بالله تعالىٰ وطاعته، أو ما حلَّ بها من هزيمة وذلٍّ وعذاب؛ لكفرها بالله العظيم ومعصيته، قال تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف: ١]، ولتثبيت الفؤاد علىٰ الحقِّ، واستعلاؤه بالحقِّ علىٰ كلّ قوىٰ الباطل كما قال -جلَّ وعلا-: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [هود].

والقصص القرآني الكريم محفوظ إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولا يمكن أن تمتد إليه أيادي المحرفين والمبطلين كما هو الحال في التوراة والإنجيل، ويُعدّ هذا الحفظ من عظيم فضل الله تعالىٰ علىٰ أمة محمد ﷺ؛ تصديقًا لقوله سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحِجر].

ومما يُبرز أهمية القصص القرآني الحقّ الذي لا خطأ فيه ولا كذب ولا باطل كما وصفه الله تعالىٰ بقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [آل عمران]= استمداد أجيال هذه الأمة المباركة من معينه وفوائده وعظاته وعبره؛ حتىٰ غدت مصدرًا مهمًا من مصادر أصول تعاملهم مع بعضهم، ومع الأمم من حولهم، وموردًا عذبًا تجنبهم طريق الوقوع في مكائد شياطين الإنس والجن، ومرجعًا رائدًا في تزكية نفوسهم، وتغذية أرواحهم، فضلًا عمَّا فيه من أنواع المعرفة المختلفة، وسبل الهداية الواضحة، والمتعة البنَّاءة الهادفة، مما كان له الأثر الواضح في ضبط المسلمين، حتىٰ امتازوا عن غيرهم -من الأمم السابقة- بالعطاء والرقي.

المطلب الثالث: مظاهر العظمة في قصص القرآن الكريم

من مظاهر العظمة في القصص القرآني أنه تفرَّد عن غيره من القصص بعدّة مميزات، كان لها بالغ الأثر في إعجازه، ومستواه الرفيع، وبنائه الفني، وشواهد صدق علىٰ صفائه من الشوائب.

ومن هذه المظاهر:

١- ربانية المصدر.

٢- مطابقة الواقع والصدق.

٣- الانتخاب مع العبرة والعظة.

٤- التنويع في تصوير الأحداث (التكرار)[١].

(١) عظمة القرآن الكريم (٢٩١).

المبحث الأول: بين يدي سورة البروج

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسم السورة، عدد آياتها، مكان نزولها، فضلها وفيه أربعة مسائل

المسألة لأولىٰ: اسم السورة

١- سورة البروج:

سُمِّيت بهذا الاسم في المصاحف، وكتب التفسير والسُّنَّة؛ وذلك لورود هذا اللفظ فيها في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ١﴾.

٢- سورة والسَّماء ذات البروج:

وردت هذه التَّسمية في كلام الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ، فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: أنَّ رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسَّماء ذات البروج، والسَّماء والطَّارق[١].

المسألة الثانية: عدد آياتها

اثنتان وعشرون آية في جميع العدد ليس فيها اختلاف[٢].

المسألة الثالثة: مكان نزولها

سورة البروج مكية باتفاق[٣].

المسألة الرَّابعة: فضل سورة البروج

لم يثبت في فضلها حديث، وغاية ما ورد هو حديث أُبي بن كعب: عن رسول الله ﷺ قال: **«من قرأ والسماء ذات البروج أعطاه الله -عزَّ وجلَّ- من الأجر بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون في دار الدنيا عشر حسنات»**[٤].

---

(١) أخرجه أحمد (٨٣٠٧).

(٢) البيان في عد آي القرآن (٢٦٩).

(٣) معالم التنزيل (٨/ ٣٧٨)، المحرر الوجيز (٥/ ٤٦٠)، الدر المنثور: (٨/ ٤٦١).

(٤) جزء من حديث طويل في فضائل القرآن، وله طرق كلها باطلة وموضوعة. انظر: الموضوعات لابن الجوزي (١/ ٢٣٩)، والضعفاء للعقيلي (ص:٣١٧).

المطلب الثاني: المناسبات ومحور السّورة

وفيه ثلاثة مسائل:

المسألة الأولىٰ: مناسبة السُّورة لما قبلها (سورة الانشقاق)

ترتبط (سورة البروج) بما قبلها من عدة أوجه:

١- اشتمالها لما اشتملت عليه (سورة الانشقاق) من وعد المؤمنين ووعيد الكافرين، مع التنويه بشأن القرآن وفخامته.

تؤكِّد (سورة البروج) علىٰ ما ذكره الله تعالىٰ في (سورة الانشقاق) عن الكافرين أنّهم يُكذِّبون بدين الله تعالىٰ، حيثُ قال سبحانه: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الانشقاق]، ويأتي في هذه السورة: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾﴾.

لما ذكر سبحانه في (سورة الانشقاق) بشارة الكُفَّار بالعذاب الأليم، استثنىٰ منهم المؤمنين بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الانشقاق]، أي: غير منقطع، وهؤلاء المؤمنون هم الذين ابتُلوا وفتنوا وصبروا علىٰ البلاء حيثُ قال عنهم سبحانه وتعالىٰ في (سورة البروج): ﴿وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾.

٢- ذكر الله سبحانه وتعالىٰ في (سورة الانشقاق): أنَّه عليم بما يجمعون للرسول ﷺ والمؤمنين من المكر والخداع وإيذاء من أسلم بأنواع من الأذىٰ كالضرب والقتل والإلقاء في حر الظهيرة. وذكر هنا أن هذه طريقة من تقدمهم من الأمم، فقد عذبوا المؤمنين بالنار كما فعل أصحاب الأخدود. وفي هذا عظة لقريش، وتثبيت من يُعذبون من المؤمنين[1].

(١) البحر المحيط (٨/ ٤٤٢)، روح المعاني (٢٨/ ٤١٥)، تفسير المراغي (٣٠/ ٩٧).

المسألة الثانية: مناسبة إيراد قصة أصحاب الأخدود في (سورة البروج)

قال ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «مناسبة القسم لما أقسم عليه أن المقسم عليه تضمن العبرة بقصة أصحاب الأخدود، ولما كانت الأخاديد خطوطًا مجعولة في الأرض مستعرة بالنار، أقسم علىٰ ما تضمنها بالسماء بقيد صفة من صفاتها التي يلوح فيها للناظرين في نجومها ما سماه العرب بروجًا وهي تشبه دارات متلألئة بأنوار النجوم اللامعة الشبيهة بتلهب النار»[١].

وجاء في التفسير الموضوعي: أن البروج المصاعد أو المنازل أو هي النجوم العالية التي تتدرج في العلو حتىٰ تصل إلىٰ فضاء في غاية البعد وأن الحادث الذي وقع بيانه في هذه السورة قد بلغ الشناعة مبلغًا متطاولًا في أخلاق البشر، بحيث لا يكاد أحد يصدقه لولا وقوعه، تهويلًا له وتشنيعًا بأهله[٢].

المسألة الثالثة: محور السورة

محور (سورة البروج) هو تثبيت المؤمنين وتصبيرهم علىٰ الأذىٰ، والربط علىٰ قلوبهم عند الابتلاء، وتذكيرهم بما جرىٰ علىٰ من تقدَّمهم من التعذيب؛ بسبب إيمانهم بالله العظيم، وبيان صبرهم وثباتهم[٣].

المطلب الثالث: مقاصد السورة

١- القسم علىٰ أصحاب الأخدود.
٢- ضرب المثل للذين فتنوا المؤمنين بمكة بقصة أصحاب الأخدود؛ ليكون تثبيتًا لهم وتصبيرًا علىٰ أذىٰ الكفار، وتذكيرهم بما جرىٰ للمؤمنين من قبلهم بسبب إيمانهم من شدة التعذيب الذي لم ينلهم مثله، ولم يصدهم ذلك عن دينهم.
٣- إشعار المؤمنين بعظيم قوة الله -عزَّ وجلَّ- وتسليتهم، بأنه سبحانه سيحاسب المشركين علىٰ صنيعهم، وسيجازي المؤمنين بالنعيم الأبدي والنصر المبين.
٤- بيان كرامة المؤمنين عند الله تعالىٰ.

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٣٧).
(٢) التفسير الموضوعي لنخبة من العلماء (٩/ ٨٧).
(٣) الكشاف (٤/ ٧٣٠)، وتاريخ نزول القرآن (٢١٤)، والتفسير الوسيط (٣/ ٢٨٥١).

٥- الإشارة إلىٰ هلاك فرعون وثمود وكيف كانت عاقبة أمرهم، فحصلت العبرة للمشركين في فتنهم المسلمين، وفي تكذيبهم الرسول ﷺ.

٦- التنويه بشأن القرآن المجيد[1].

المطلب الرابع: موضوعات السورة

١- القسم بالسماء ذات النجوم وذات المنازل لهذه النجوم، تنبيهًا علىٰ إحكام بنائها وخلقها وزينتها وإحاطتها بمن تحتها.

٢- القسم باليوم الموعود وهو يوم القيامة، الذي يجمع الله تعالىٰ فيه الأولين والآخرين، ويعاقب فيه القوي المتين الكافرين، ويجازيهم علىٰ تعذيبهم المؤمنين.

٣- القسم بالشاهد والمشهود، وقد اختلف المفسرون في المراد بهما هل هما الجمعة وعرفة، أو غيرهما.

٤- لعن الله -عزَّ وجلَّ- لأصحاب الأخدود الذين عذبوا المؤمنين وحرقوهم بالنار لا لذنب إلا لكونهم مؤمنين.

٥- بيان قوة الله تعالىٰ وعزته، وأنه الذي يملك السماوات والأرض، والذي يعلم أعمال خلقه ولا تخفىٰ عليه خافية.

٦- وعد الله سبحانه من ءامنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم بأن لهم جنات النعيم، وأن ذلك هو الفوز الكبير، حيث يكون برضا الله تعالىٰ ودار كرامته.

٧- تحذير الله -عزَّ وجلَّ- الكافرين من شدة بطشه وأليم عقابه.

٨- طمأنة الله تعالىٰ عبادَه الصالحين بأنه الغفور وهو الكثير المغفرة لمن تاب وأناب، وأنه الودود وهو المحب لمن أحبه وأطاعه.

٩- بيان شدة انتقام الله -عزَّ وجلَّ- وأليم عقابه ممن آذىٰ أولياءه المتقين، كما أغرق فرعون وجيوشه، وأهلك ثمود بالصيحة المدمرة.

١٠- بيان علم الله تعالىٰ وإحاطته بالكافرين، وقدرته علىٰ إنزال العذاب بهم كما أنزله بمن قبلهم.

---

(١) بصائر ذوي التمييز (١/ ٥١٠)، ومصاعد النظر (٣/ ١٧٦)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٣٦).

١١-ختم الله سبحانه السورة الكريمة ببيان شرف القرآن الكريم، وإثبات اللوح المحفوظ وتقريره. فهو كتاب الله المجيد الذي لا يمكن أن يطرأ عليه تبديل وتغيير؛ لأن الله تعالىٰ حافظ له في لوحه[١].

و(سورة البروج) اشتملت علىٰ التوحيد حيث جاء فيها وصف الله سبحانه بالعزة والحمد، وملكه السماوات والأرض وشهادته علىٰ كل شيء، ووصفه بشدة البطش، وتفرده بالإبداء والإعادة، ووصفه بالمغفرة، ووصفه بالودود، ووصفه بأنه ذو العرش الذي لا يقدر قدره سواه وأن عرشه المختص به لا يليق بغيره أن يستوي عليه، ووصفه بالمجد وكونه فعالًا لما يريد.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ -بعد أن ذكر موضوعات السُّورة-: «فهذه السورة كتاب مستقل في أصول الدين تكفي من فهمها»[٢].

(١) التبيان في أقسام القرآن (٩٧)، وتيسير الكريم الرحمن (٩١٨)، والتفسير الحديث (٢/ ١٦٠)، وتاريخ نزول القرآن (٢١٥).
(٢) التبيان في أقسام القرآن (٩٧).

المبحث الثاني: مظاهر تعظيم الله تعالى في قصة أصحاب الأخدود

وفيه سبعة مطالب:

إنَّ مما لا شك فيه أن العناية بالقرآن الكريم تلاوة وحفظًا وتدبرًا تُعد وسيلة من وسائل تعظيم الله -عزَّ وجلَّ-، وقصة أصحاب الأخدود الواردة في سورة البروج جديرة بأن يتأملها المؤمنون الداعون إلىٰ الله تعالىٰ. فعندما أوردها القرآن الكريم بهذا الأسلوب العميق، مع مقدماتها والتعقيبات عليها، والتقريرات والتوجيهات المصاحبة لها، وضع لنا منهجًا مستقيمًا نتعامل به في سيرنا إلىٰ الله تعالىٰ، ونواجه به أعداءنا، وما يصيبنا من فتن وابتلاءات حتىٰ نلقىٰ ربنا سبحانه وتعالىٰ وهو راضٍ عنا، والقصة تشتمل علىٰ مظاهر كثيرة تدل علىٰ تعظيم المولىٰ سبحانه وتعالىٰ، وفي هذا المبحث بيان لاستنباط مظاهر تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- منها، وهي كالتالي:

المطلب الأول: الهدايات في قوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝٤﴾

لعن الله -عزَّ وجلَّ- أصحاب الأخدود الذين حفروا الأخاديد في الأرض ثم أشعلوها نارًا، ثم ألقوا فيها المؤمنين؛ لتحرقهم النار. وهذا الأسلوب في التعذيب من أساليب الطغاة والجبابرة الذين نُزعت من قلوبهم كل معاني الإنسانية والرحمة.

وهو من أعظم ما يكون من التجبر وقساوة القلب؛ لأنهم جمعوا بين الكفر بآيات الله ومعاندتها، ومحاربة أهلها وتعذيبهم بهذا العذاب، الذي تنفطر منه القلوب، وحضورهم إياهم عند إلقائهم فيها[1].

وتعظيم الله -عزَّ وجلَّ- يكون بالحذر من الاتصاف بصفات الكافرين الذين يُعذبون المؤمنين بهذه الطريقة الوحشية البشعة.

١- في الآية الكريمة دعاء من الله تعالىٰ علىٰ أصحاب الأخدود بالقتل ﴿قُتِلَ﴾، أي: لُعِن أصحاب الأخدود الذين ألقَوا المؤمنين والمؤمنات في الأخدود[2].

وتعظيم الله -عزَّ وجلَّ- يكون بالابتعاد عن كل عملٍ لَعن الله تعالىٰ صاحبه كمثل

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٩١٨).

(٢) جامع البيان (٢٤/ ٣٤٢).

هذا العمل الشنيع أو غيره من الكفر، والنفاق، وكتم ما أنزل الله تعالىٰ، وتحريف كلامه -جلَّ وعلا-، ورمي المحصنات الغافلات، وأكل الربا، وشرب الخمر، والسرقة، وغيرها.

٢- قصة أصحاب الأخدود تحكي واقعًا من وقائع الظلم، وتصور حادثة من حوادث محاربة دين الله تعالىٰ، ومعارضة شرعه الحنيف؛ لأن كفار قريش في مكة حاربوا دين الله تعالىٰ، وعارضوا النبي ﷺ، بل آذوه وأخرجوه من مكة إلىٰ المدينة.

وفي القصة خطاب، وإعلام، وتذكير، وإنذار لظلمة قريش ومكة، ولكل من انتهج منهجهم بأن عاقبة الظالمين هكذا، مهما عظمت وكبرت قواتهم، فهذه نهايتهم، فاحذروا علىٰ أنفسكم من غضب الله تعالىٰ وسطوته.

المطلب الثاني: الهدايات في قوله: ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥﴾

١- وردت كلمة ﴿ٱلنَّارِ﴾ في الآية الكريمة مجرورة علىٰ بدل الاشتمال[١]، فتكون بدلًا من الأخدود: الأخدودِ النارِ ذات الوقود، أو يقال: قُتل أصحاب النَّار ذات الوقود[٢].

وفي هذا دلالة علىٰ عِظم وضخامة النار التي أشعلوها في الأخدود الذي حفروه؛ لإلقاء المؤمنين فيه وهم أحياء.

وتعظيم الله -عزَّ وجلَّ- يكون بتذكر نار جهنم وعِظمها وضخامتها -أجارنا الله تعالىٰ منها-، وأن نار الدنيا لا تساوي عندها شيئًا كما قال ﷺ: «يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا»[٣]، وكما قال ﷺ: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا، مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ»، قالوا: والله إن كانت لكافية، يا رسول الله، قال: «فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا»[٤]، فيُسكن قلبه تعظيم الله تعالىٰ وتقواه، فيتقيها بطاعته سبحانه وعدم معصيته، قال تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ٢٤].

---

(١) إعراب القرآن (٥/ ١١٩).

(٢) معاني القرآن (٣/ ٢٥٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٤٢).

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٤٣).

٢- المولىٰ سبحانه وتعالىٰ بعدله سيجعل هذه النار العظيمة مأوىٰ ومثوىٰ للكافرين الذين عذبوا أولياءه المؤمنين وأحرقوهم بنار الدنيا كما قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [آل عمران].

وتعظيم الله تعالىٰ يكون بعلم المؤمن أن الله جل في علاه سينصره ولا يخذله ولو بعد حين، فيزيده ذلك صبرًا وثباتًا وتمسكًا بدينه.

المطلب الثالث: الهدايات في قوله تعالى: ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾﴾

الكفار قعود علىٰ حافة الأخدود، يشاهدون المؤمنين وهم يحترقون ويتسلون بذلك، وقد نزعت الرحمة من قلوبهم، وفي هذا المشهد عدم تعظيم لله رب العالمين.

والمؤمن يعظم الله -عزَّ وجلَّ- برحمته للمؤمنين ويعطف عليهم؛ حتىٰ يكونوا صفًا واحدًا في وجوه أعدائهم، قال تعالىٰ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

المطلب الرابع: الهدايات في قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾

في بيان الآية الكريمة لذنب المؤمنين في عرف الكافرين، جاء الفعل "نقموا" ويعني: الإنكار باللسان، أو بالعقوبة[١]، وهذا المعنىٰ يدل علىٰ طبيعة المعركة ضد المؤمنين، فهي معركة انتقامية، يتحرك فيها الكفار بالانتقام والحقد والكراهية فهم ينزلون العقوبة بالمؤمنين ودينهم وعبادتهم وعقيدتهم مصحوبة بكراهية تصل إلىٰ حد السخط[٢]، فهم لا يرقبون في مؤمن قرابة، ولا عهدًا، قال تعالىٰ: ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ

(١) المفردات في غريب القرآن (٨٢٢).
(٢) نضرة النعيم (٩/ ٤٠٠٧).

يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾ [التوبة].

ومن تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- الحذر من صفة الانتقام الذميمة، ومعاملة الناس بالعدل، فالانتقام يولّد بين الناس الأحقاد والضغائن والكراهية.

١- عذَّب الكفار المؤمنين والمؤمنات وأحرقوهم بالنار؛ وما كان لهم عندهم ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الذي لا يضام من لاذ بجنابه، المنيع الحميد في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره، وإن كان قد قدَّر علىٰ عباده هؤلاء هذا الذي وقع بهم بأيدي الكفار به، فهو العزيز الحميد، وإن خفي سبب ذلك علىٰ كثير من الناس[(١)].

فجريمة المؤمنين والمؤمنات التي استحقوا بها الإحراق بالنار، هي عبادتهم لله، واستسلامهم له، وخضوعهم له، وإيمانهم به ربًا وخالقًا ومدبرًا. فتعظيمه -عزَّ وجلَّ- هو بمعرفة قيمة الإيمان، وطعم الإيمان، وحقيقة الإيمان، فعندما يقرأ قوله ﷺ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»[(٢)]= يشعر بعظمة الله تعالىٰ، ويسلّم أمره لله سبحانه، وينقاد له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته؛ حتىٰ يصبح قوي الإيمان، ولا يضره بعد ذلك ما يلاقيه وينالاه؛ لعلمه برضا الله تعالىٰ عنه.

٢- من مظاهر تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- في الآية الكريمة، اشتمالها علىٰ بعض أسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾. فقد ورد في الآية اسمين كريمين، العزيز، الحميد، ومن تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- تعظيم أسمائه وصفاته.

ومن الأسباب المعينة علىٰ تعظيم الله تعالىٰ، التعرف علىٰ معاني أسمائه وصفاته، فمعنىٰ ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾: الشديد في انتقامه ممن انتقم منه، والحميد: المحمود بإحسانه إلىٰ خلقه[(٣)].

وعند التأمل في هاتين الصفتين نعلم أن الله تعالىٰ العزيز الذي قهر عباده، هو غالب علىٰ أمره، ولا ينال جنابه وعظمته، فمهما تجبَّر الإنسان وتكبر علىٰ الله -عزَّ وجلَّ-

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ٣٦٦).

(٢) أخرجه مسلم (٣٤).

(٣) جامع البيان (٢٤/ ٣٤٣).

فلن يستطيع ملك السماوات، أو الأرض، أو الشمس والقمر، ولو سئِل عن ذلك لبُهت وانقطع كما بُهت النمرود من قبله، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة].

وهو سبحانه الحميد الذي يستحق الحمد، والمحمود في كل حال، وهو حميد في أقواله وأوصافه وأفعاله فله الحمد علىٰ ما قدَّر، وله الحمد علىٰ ما شرع، وكل تقدير قدَّره وفي ظاهره آلامًا، فقد جعل فيه من الحكم والمصالح والمنح والفضائل ما لا يحيط به عقل إنسان، ولذلك يحمد علىٰ المكروه كما يحمد علىٰ المحبوب سبحانه وتعالىٰ.

٣- من مظاهر تعظيم الله تعالىٰ في الآية الكريمة معرفة المؤمن أن الله العزيز الحميد، لا يجعل تسلُّط الكفار والجبابرة علىٰ أوليائه المؤمنين عزًا لهم أو ذلًا لعباده المؤمنين، بل العزة لمن أطاعه واتقاه، وهو -عزَّ وجلَّ- يُحمد علىٰ ما قدَّر من تسليط الكفار علىٰ المؤمنين من غير أن يتمكنوا من إذلالهم، فإن الذل الحقيقي هو حين يُغيّر الإنسان دينه، أو عقيدته علىٰ رغبة إرادة من غلبه.

ولذا؛ فإن الله العزيز يظهر في هذه القصة من عزته سبحانه وتعالىٰ ما لا يدركه الناس، وما لا يعلمونه، وما لو تأمل العبد بعضه لعَلِم أن الله سبحانه وتعالىٰ لا ممانع له، فأمره نافذ، وهو غالب علىٰ أمره سبحانه وتعالىٰ، وله الحمد -عزَّ وجلَّ-.

المطلب الخامس: الهدايات في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾

١- من مظاهر تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- في الآية الكريمة، أنه سبحانه له الملك كله، ويرجع إليه الأمر كله، مطَّلع علىٰ خلقه، ولا تخفىٰ عليه منهم خافيه، فيستلزم ذلك أن يعظم العبد ربه تعالىٰ، ويحذر من معصيته.

٢- من مظاهر تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- في الآية الكريمة، التفكر في ملكوته سبحانه وتعالىٰ وعظيم مخلوقاته؛ لأن التفكر في خلق الله تعالىٰ عبادة تولّد التأمل في خلق الباري وجميل صنعه، واستشعار عظمته -جلَّ في علاه-، وقد ورد في الآية الكريمة ذكر

مخلوقين عظيمين من مخلوقاته وهما السماء والأرض، إذا نظر فيهما العبد عظَّم ربه -جلَّ وعلا-، وعلم مدىٰ سعة ملكه وعظمته.

٣- من مظاهر تعظيم الله سبحانه وتعالىٰ: أن يعلم العبد أن الله تعالىٰ شهيد علمًا وسمعًا وبصرًا، لا يخفىٰ عليه خافية، فهو سبحانه مطلع علىٰ فعل الكفار من أصحاب الأخدود بالمؤمنين الذين فتنوهم، وعلىٰ غير ذلك من أفعالهم وأفعال جميع خلقه، وهو مجازيهم عليها.

المطلب السادس: الهدايات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾

إيذاء المؤمنين، ومحاربة المسلمين الموحدين لله -عزَّ وجلَّ-، والصد عن سبيل الله تعالىٰ، جريمة عظيمة؛ لأن من يقومون بهذه الجرائم يصرفون الناس عن عباد الله تعالىٰ إلىٰ عبادة غيره، وهؤلاء سيهلكهم الله -عزَّ وجلَّ-، وسيلقون الذل والصغار، وقد توعدهم الله تعالىٰ بأن لهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾.

١- ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾، بما أحرقوا المؤمنين(١).

٢- في الأجواء القاسية التي كان يعاني فيها الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أشد أنواع العذاب من كفار مكة نزلت (سورة البروج) المشتملة علىٰ قصة اصحاب الأخدود، وقد استفاد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ منها الثبات علىٰ الدين بتعظيم الله -عزَّ وجلَّ-، وعدم تراجعهم عن إيمانهم، أو نكوصهم علىٰ أعقابهم، بل لم يزدهم العذاب والبلاء والفتنة إلا تعظيمًا لله تعالىٰ، ومحبة له، وإجلالًا، حتىٰ قال خبيب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢):

مَا أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَىٰ أَيِّ شِقٍّ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَىٰ أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

٣- من مظاهر تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- في الآية الكريمة، أنه سبحانه من عظيم حكمته يسلط الكافرين علىٰ عباده المؤمنين؛ ابتلاءً للمؤمنين، ولأجل زيادة العقوبة

---

(١) معالم التنزيل للبغوي (٥/ ٢٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٤٥).

والعذاب علىٰ الكافرين في الآخرة.

٤- من مظاهر تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- في الآية الكريمة أن الجزاء من جنس العمل. قال الحسن البصري: «انظروا إلىٰ هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلىٰ التوبة والمغفرة»[(١)]. فلا ييأس العبد من مغفرته وعفوه ولو كان منه ما كان، قال تعالىٰ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزُّمَر: ٥٣]. فلا عداوة أعظم من هذه العداوة، ولا أكفر ممن حرق بالنار من آمن بالله وحده وعبده وحده، ومع هذا فلو تابوا لم يعذبهم، وألحقهم بأوليائه[(٢)]. وهذا من كرم الله تعالىٰ ورحمته بخلقه أن جعل باب التوبة مفتوحًا مهما عَظُمت ذنوب العبد وكَثُرت، ما لم يغرغر، قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ بِنَفَسِهِ»[(٣)]، أو تطلع الشمس من مغربها، قال ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَاكَ حِينَ: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ [الأنعام: ١٥٨][(٤)].

٥- من مظاهر تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- في الآية الكريمة، عظمة دين الإسلام، ومبادئه السامية النبيلة، التي يتميّز ويسمو بها علىٰ كل المبادئ والنظم البشرية المادية، والقوانين الوضعية. فالمؤمن يتحلىٰ بصفة الحلم، والعفو، فيصفح ويتجاوز عن كل من أساء إليه، ويجعله أخًا له في الدين والعقيدة، طالما شاركه في توحيد الله تعالىٰ وعبادته وحده لا شريك له.

المطلب السابع: الهدايات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾

هذا الوعد من الله -عزَّ وجلَّ- لعباده المؤمنين الذين ثبتوا علىٰ إيمانهم وعقيدتهم، وتحمَّلوا النار في سبيل الله تعالىٰ، فكانوا في نهاية المعركة فائزين، نالوا جنات النعيم، واستحقوها بفضل الله تعالىٰ ورحمته، وبما صبروا عليه من أذىٰ الكفار والمستهزئين.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٢٧١).

(٢) التبيان في أقسام القرآن (٩٢).

(٣) أخرجه أحمد (١٠/ ٣٠٠) رقم (٦١٦٠)، وقال الأرناؤوط: «إسناده حسن».

(٤) أخرجه البخاري (٤٦٣٥).

وتعظيم الله تعالىٰ يكون بقوة وثقة المؤمن بربه سبحانه وتعالىٰ؛ حتىٰ يفوز الفوز الكبير عند لقاء الله -جلَّ وعلا-، قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [آل عمران].

الخاتمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصَّلاة والسلام الأتمان الأكملان علىٰ خير خلق الله أجمعين، نبينا محمد النبي الأمين، وعلىٰ آله وصحابته. ومن استنَّ بسنته، واقتدىٰ به إلىٰ يوم الدين وبعد...فإني أشكر الله تعالىٰ ثم أشكر القائمين علىٰ هذا المؤتمر المبارك، الذي كان عونًا لي علىٰ المشاركة والكتابة في هذا البحث عن تعظيم الله تعالىٰ في هدايات القرآن الكريم، وتلمس واستنباط الهدايات القرآنية من نصوص القرآن العظيم، **وأهم ما توصلت إليه من النتائج**:

أولًا: أن قصة أصحاب الأخدود ذُكرت مرة واحدة فقط في القرآن الكريم، مع سمو الحقائق التي قررتها، وما فيها من مناهج تربوية، وغايات رائدة.

ثانيًا: تعتبر قصة أصحاب الأخدود منهجًا متكاملًا لما ينبغي أن يكون عليه المسلم من التمسك بسلامة عقيدته، والثبات في زمن الفتن، والصبر عند البلاء.

ثالثًا: تعتبر قصص القرآن الكريم مصدرًا مهمًا في تربية الأجيال والنشء، وذلك بدراستها واستنباط كل ما يتعلق بها من أحكام، وهدايات، وعِبر، وعظات.

رابعًا: تُعين قصة أصحاب الأخدود المسلم علىٰ الحذر من الاتصاف بصفات الكافرين التي تدل علىٰ حقدهم وعداوتهم للإسلام وأهله.

خامسًا: تُبيّن قصة أصحاب الأخدود قوة الله تعالىٰ وعزته، وأنه الذي يملك السماوات والأرض، والذي يعلم أعمال خلقه ولا تخفىٰ عليه منهم خافية.

سادسًا: الابتعاد عن الأقوال والأفعال التي يترتب علىٰ فاعلها اللعن من الله تعالىٰ، أو من رسوله ﷺ.

سابعًا: تحث قصة أصحاب الأخدود المؤمن علىٰ أن يكون واثقًا بالله -عزَّ وجلَّ-، مهما عَظُم عليه البلاء، مستيقنًا بأن الله تعالىٰ سينصره ولا يخذله ولو بعد حين.

ثامنًا: تدل **قصة** الأخدود علىٰ أن استشعار المؤمن لقيمة الإيمان، وتلذذه بطعمه، يهوّن عليه المصائب والابتلاءات.

تاسعًا: من أعظم الأسباب المعينة علىٰ تعظيم الله تعالىٰ، التعرف علىٰ أسمائه وصفاته سبحانه وتعالىٰ، ومعانيها.

عاشرًا: التأمل والتفكر في مخلوقات الله تعالىٰ، عبادة جليلة، تزيد من إيمان العبد بربه، وتعظيمه له.

التوصية: أوصي الباحثين، والمهتمين بالدراسات القرآنية، بدراسة قصص القرآن الكريم دراسة موضوعية استقرائية متكاملة، بحيث تكون دراسة كل قصة علىٰ حدة، واستنباط ما يتعلق بها من أحكام، وهدايات، وفوائد، وحِكم وعِبر.

المصادر والمراجع

١- إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١ هـ.

٢- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٣- بحوث منهجية في علوم القرآن، موسىٰ إبراهيم الإبراهيم، دار عمار، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.

٤- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

٥- البيان في عدّ آي القرآن، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث – الكويت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٦- تاريخ نزول القرآن، محمد رأفت سعيد، دار الوفاء – المنصورة، مصر، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

٧- التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٨- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ.

٩- التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣ هـ.

١٠- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، المحقق : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة : الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

١١- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفىٰ المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولىٰ، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.
١٢- التفسير الموضوعي، نخبة من العلماء، جامعة الشارقة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٣١هـ.
١٣- التفسير الوسيط، د. وهبة بن مصطفىٰ الزحيلي، دار الفكر – دمشق الطبعة: الأولىٰ - ١٤٢٢ هـ.
١٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.
١٥- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٦- الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار النشر: دار الفكر، بيروت ١٩٩٣ م
١٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٥ هـ.
١٨- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
١٩- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري ،دار الشعب – القاهرة ، الطبعة : الأولىٰ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م.
٢٠- الضعفاء الكبير، أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسىٰ بن حماد العقيلي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية – بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٢١- عظمة القرآن الكريم، محمود بن أحمد بن صالح الدوسري، دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٦هـ.
٢٢- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٥م.

٢٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.
٢٤- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م.
٢٥- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.
٢٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – لبنان –، الطبعة: الأولىٰ ١٤١٣هـ.
٢٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
٢٨- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢٩- مصاعد النظر للإشراف علىٰ مقاصد السور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة الأولىٰ: ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م.
٣٠- معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ.
٣١- معاني القرآن، أبو زكريا يحيىٰ بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولىٰ.
٣٢- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولىٰ – ١٤١٢ هـ.

٣٣- الموضوعات، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ضبط وتقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة: الأولىٰ، جـ ١، ٢: ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م، جـ ٣: ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.

٣٤- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - ﷺ، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة: الرابعة.

٣٥- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

الموضوعات

ملخص البحث	٢
المقدمة	٣
التمهيد	٦
المبحث الأول: بين يدي سورة البروج	٩
المبحث الثاني: مظاهر تعظيم الله تعالىٰ في قصة أصحاب الأخدود	١٤
الخاتمة	٢٢
المصادر والمراجع	٢٠
الموضوعات	٢٣